

الحاصل في ثقل الكبريتات بشرط ان تُعرف كمية الماء الذي سقى الارض في وقت معلوم وكمية الغاز الكربونيك الموجود في هذه الارض نفسها «

هذا وان المواد الكلسية كثيراً ما تحتوي على الحامض النيتروجيني وهي التي تنظم ما يحصل في التربة من الاعمال الطبيعية والكيميائية. فمن ذلك ان كربونات الكلس يخرج بالصلصال فيلطف قوته الماسكة فيجعله قابلاً للنفوذ وبذلك تصبح الاراضي الزراعية سهلة الفلاحة. وبخلاف ذلك اذا كانت كمية الرمل زائدة امتزج الكربونات بالرمل واثالة ما يحتاج اليه من التماسك اللازم لحمل النبات وتقويته

تاريخ فن الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو البسوي

نُظُمَات

كان صاحب الهلال منذ ثلاث سنوات ادرج في مجلته (٢٤٩:٦) مقالة في اختراع الطباعة وتاريخها في اوردية ختمها بذكر تاريخ الطباعة العربية. وهذه النبذة في المطبوعات العربية مع فوائدها لا تتجاوز ثلاث صفحات ولا تكاد تفي بالموضوع فضلاً عن ان كاتبها الاديب جمع فيها القش والسين. فرأينا ان نعود الى هذا البحث ونثبت كل ما امكنتنا جمعه من تاريخ الطباعة الشرقية

امول فن الطباعة

واردل ما يحق لاهل المشرق ان يتفخروا به ان فن الطباعة في بلادهم اقدم منه في بلاد اوردية. وقد اكتشف علماء الماديات في بايل قوالب ثاتنة الحروف كان ملوك الكلدان يتخذونها لطبع نسخ من اوامرهم الرسمية نحو الف سنة قبل المسيح. فكان المثة يعملون هذه القوالب على الآجر قبل طبخه فتتمثل الحروف محفورة. وقد شاع مثل هذا الفن عند الصينيين بعد المسيح بنحو ستمائة سنة. بيد ان الصينيين

اتخذوا الحطب بدلاً من الآجر وطبعوا الكتب بالحبر على هذه الاخشاب الباردة الحروف . وقد رأينا في دار التحف البريطانية التأليف الصينية التي طبعت على هذه الصورة طبعا حتما منذ القرن الثالث عشر للمسيح وطبعها على الورق الصيني الرقيق

ومن الاكتشافات التي وقف عليها المستشرق هامر برغشتال (١) ان عرب بلاد الاندلس لم يجهاروا فن الطباعة ولهم اهتدوا اليه بعد فتوحهم لتسم من بلاد الهندستان ودخولهم في الصين . ربما يشهد على ذلك ما ورد في كتاب الاحاطة في تاريخ غرناطة سنة ٧٢٦ هـ (١٣٧٥ م) في ترجمة ابي بكر القلوسي الاندلسي قال : « وألف كتاب الدرّة المكتونة في محاسن اسطبونة (Estepone) . . . ورفع للوزير الحكيم كتابا في الخواص (خواص) وصنعة الأمدّة وآلة طبع الكتاب غريب في معناه » . وجاء ايضا في كتاب الحلة السرية لابن الاثير (ص ١٣٧ من طبعة دوزي) عن بدر مولى الامير عبد الله انه كان « يكتب السجلات في داره ثم يبعثها للطبع فطبع وتخرج اليه تبث في العمال » . وهذا دليل على ان العرب كانوا يعلمون فن الطباعة على الحجر . وكانوا يجفرون ايضا الحطب للطبع يزيد ذلك طابع كان اصحاب القيسارية في مدينة اليربية في الاندلس يرسون به البضائع يرتقي عهده الى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٥٠) (انظر صورته في الصفحة ٨١) وهو كما رسمه العلامة المذكور آنفا

يد ان هذا الفن كان صعب المزاولة يقتضي زمنا طويلا وعناء شاقا . فآلمهم الله في اواسط القرن الخامس عشر رجلا يدعى حنا غوتنبرغ وضع الحروف المنفردة يصغها المرتبون كما يشاؤون ثم يفرقونها بعد الطبع لتصنيف كتب جديدة . فاتخذ أولا غوتنبرغ حرقا من الحطب ثم بدلها بالرصاص وساعده في عمله رجلان اسم احدهما حنا فوست من اغنياء ميتر (Mayence) وطريرس شوفر من حذاق العملة فتوصلوا الى ان ينشروا بالطبع سنة ١٤٥٠ كتاب التوراة باللاتينية . فالبث ان شاع هذا الاختراع في الاقطار الادريية وانتشر هذا الفن الجليل في كل انحاء المعمور . وما زاده شيوعا ان شوفر شريك غوتنبرغ توصل الى وضع الأمهات لسكب الحروف وصيها

(١) راجع المجلة الايوربية الفرنسية سنة ١٨٥٢ ص ٢٥٢ (J. A., 4^e Série, XX, 252)

مبادئ طباعة اللغات الشرقية في اوربة

لم يمرّ على اختراع فن الطباعة بالحروف المنفردة خمس سنوات حتى فكّر العلماء في وضع حروف لطبع اللغات الشرقية. واللغة العبرانية هي اول لغة شرقية نُشرت بالطبع قبي سنة ١٤٥٥ طُبعت التوراة العبرانية في فرازي (١٠١) وفي سنة ١٤٢٦ طبع ابراهيم ابن حاييم اليهودي فيها كتاب *ספר חנוכה* واشتهرت بمدينة سنة ١٤٨٠ مطبعة مدينة سونينو (Soncino) من اعمال دوقية ميلانو (٢) حتى كثر طبع كتب العبرانية في ايطالية واشتهر بين النصارى في هذا الامر الطباع بمبرغ (Bomberg) في البندقية وبعده غيلوم پوستل (G. Postel) وروبرت اسطفان (R. Etienne) في باريس ولغة العربية المقام الثاني في تاريخ الطباعة. فان أول كتاب طبع بلقنا الشرقية نُشر بالطبع في فانو (Fano) في ١٢ ايلول سنة ١٥١٤ لا كما زعم الهلال (٦: ٢٥٢) سنة ١٥١٦. وهو كتاب صلاة السواعي (٣) حسب طقس كنيسة الاسكندرية. وهذه المطبعة العربية كان سمي بانسائها البابا يوليس الثاني في اوائل القرن السادس عشر واكل امرها الى الطباع غريغوريوس جرجس البندقي. اما الكتاب فصحاته ٢١١ بقطع الثمن (in-8). وظهر بعد هذا الكتاب بستين (١٥١٦) التأليف الذي ذكره صاحب الهلال وهو سفر الزبور باربع لغات وهي العبرانية واليونانية والعربية والكلدانية ولكل هذه اللغات ترجمة لاتينية مطابطة لاصلها. وهذا الكتاب كبير القطع طبع في جنوة. بهيئة بطرس پوروس (Porrus) في مطبعة نيقولا بولس جوستيفاني الملك فرنة فرنسيس الاول. ثم نُشر الطباع پوستل في باريس مبادئ اثنتي عشرة لغة شرقية سنة ١٥٣٨ بحروف هذه اللغات الاصلية ومن جملتها السامرية والسريانية والتبطينية والجبشية والكرجية والارمنية. فانتشرت بعد ذلك بزمن قليل حروف كل هذه اللغات في اوربة. ومن الطباعات القديمة الحرة بالذكر الانجيل الارملة بالسريانية في فينة عاصمة النمسة سنة ١٥٥٥ نقلًا عن نسخة ارسلها البطريك اغناطيوس الانطاكي على يد القبس

(١) راجع De Rossi : *De typogr. hebraeo-ferrariensi*, p. 40

(٢) راجع Notices et Extraits, I, 1787, p. liv

(٣) راجع قائمة مكتبة دي ساسي (١: ٢٦٠). وقائمة المطبوعات العربية المملعة شتورر



موسى المارديني. ونخص أيضاً بالذكر الكتب الطائفة للكنيسة المارونية التي طبعت في رومية بامر الباباوين غرغوريوس الثالث عشر وبولس الخامس في مطبعة دومينيك باسا اولها صلوات الكنيسة المارونية السبع بالكرشوني سنة ١٥٨٤. ثم نشر بالسريانية كتاب الجنائز المارونية سنة ١٥٨٥

رسم طابع عربي قديم (اطلب ص ٧٩)

غير ان الكتب العربية نالت في اوردبة النصيب الاعظم في الطبع وحازت مطابع رومية السهم المعلى. ففي سنة ١٥٦٦ اهتم الاب حنا اليان اليسوعي في ترجمة كتاب «اعتقاد الامانة الارثوذكسية في كنيسة رومية» ثم طبعه في مطبعة المدرسة الرومانية للآباء اليسوعيين. وله أيضاً كتاب جدال في صحة الدين المسيحي دعاه «مصاحبة روحانية بين عالين» وطبعه في المدرسة عنها (١٠١) وفي سنة ١٥٨٤ نشر دومينيك باسا السابق ذكره بالحروف العربية اول كتاب علمي طبع في لعتنا وهو كتاب البستان في عجائب الارض والبلدان للامش بن كندغدي الصالحي

ومن المطابع الرومانية الشهيرة مطبعة آل ميديس (Medicis) التي سمي بانسائها الدوق فردينندس الاول وكان وكل الى احد الطبايعن الحذقاء اسمه روبرت غرانيون (Granion) بحفر حروف عربية فاحكم العمل وخر اربعة اجناس من الحروف طبع بها آل ميديس كتباً عديدة نفيسة اولها كتاب الانجيل المقدسة سنة ١٥٩١ بحرف مشرق وتصادير جميلة على الخشب نقشها تمبستا (Tempesta) من امهر نقاشي ذلك العصر. وقد طبعت هذه الانجيل طبعة أخرى في السنة عنها مع ترجمة لاتيئة حرفية مدرجة في المتن العربي. وفي السنة التالية نشرت المطبعة المذكورة كتاب مبادئ اللغة العربية ليوحنا رينندي ثم كتاب الكافية وكتاب ترهه المشتاق في ذكر الامصار والافات لابي عبد الله محمد المعروف بالشريف الادريسي وقد نقل هذا الكتاب الى

(١) راجع قائمة كتب الملامة دي سابي (١: ٨٧) وقائمة شنورر (ص ٢٣٤)

اللاتينية سنة ١٦١٩ الملمان المارونيان جبرائيل الصهبروني ويوحنا الحصريوني ثم ترجمه الى الايطالية سنة ١٦٣٢ الاب دومينيك ماكري اليسوعي. وفي السنة ١٥٩٣ نشرت المطبعة المديسية قانون ابن سينا وفي آخره كتاب النجاة وهو مختصر الشفا. وفي ١٥٩٥ طبعت كتاب تحرير اصول اوقليدس من تأليف نصير الدين الطوسي وكتباً غير هذه ومن المطابع الشهيرة في رومة مطبعة العلامة سافاري دي براه (Savary de Brèves). وكان هذا في اول امره سفيراً لدى الباب العالي في عهد هنريكس الرابع وكان مُفَرِّمًا بالعلوم الشرقية فحضر في باريس أمهات للحروف العربية ابداع من حروف مطبعة الميديس واتي بها الى رومة فطبع بعض كتب كالتعليم المسيحي للكردينال بلرمين سنة ١٦١٣ وكتاب الزامير (١٦١٤) وقف على طبعه المارونيان الشهيران جبرائيل الصهبروني ومنصور شالاق الماقدوني. وهذه الحروف نفسها نشر الطباع اسطفان پوليتوس كتباً اخرى في رومة منها معجم سرياني لاتيقي للاب يوحنا فوازي اليسوعي ومبادئ اللغة العربية لمنصور شالاق المذكور سنة ١٦٢٢ ثم نحو اللغة العربية لبطرس المطوشي اليسوعي الماروني (١٦٢٤) وكتاب الايساغوجي في المنطق (١٦٢٥)

وفي هذا الزمان اخذت جمعية انتشار الايمان في رومة تسمى بنشر الكتب المفيدة وقد نالت بين المطابع الادوية شهرة عظيمة حتى فاقت بطبع اللغات الشرقية ما سواها. واول كتاب عربي عُنيت بطبعه التفسير الواسع على تعليم الكردينال بلرمين نقله الى العربية حنا الحصريوني فطبع سنة ١٦٢٧ باسم البابا اوربان الثامن. ثم نشرت كتاب مرآة الحق للاب برناردو ملفازيا الفرنسي سنة ١٦٢٨ ثم الابجدية والآجرومية سنة ١٦٣٣ ثم قاموساً عربياً ايطالياً للراهب الفرنسي دومينيك جرمانوس السيلازي سنة ١٦٣٧. ومن كتب هذه المطبعة مختصر التاريخ الكنسي لبارونيو (١٦٥٣) وكتاب الاقتداء بالمسيح (١٦٦٣) والاناجيل المقدسة بالعبرانية والعربية (١٦٦٨) وترجمة الاسفار الالهية لتلامذة المدرسة المارونية (١٦٧١) والعهد الجديد بالسرانية والعربية (١٧٠٣) وقوانين القديس باسيليوس (١٧٤٥) والمتعبد لمريم للاب ستيري (١٧٦٥) وكتب اخرى كثيرة لا تزال تنشرها الى يومنا هذا بلغات عديدة كالكلدانية والارمنية والقبطية والهندية والكرجية والفارسية والكردية مما اكسب هذه المطبعة سمعة طيبة في الحاققين والفضل في ذلك عائد الى اجار الكنيسة الرومانية نصراء الدين والعام

مما. وتما طُبِع في رومية في غير مطبعة انتشار الايمان اعمال الجمع الخلقيدوني بالعربية (١٦٩٤) وترجمة اخرى للكتب المقدسة سعى بها رافائيل الطوخي الاسقف القبطي (١٧٥٢) وهو الذي نشر كتب كنيسته الطنسية بالقبطية (راجع المشرق ٢: ٨١٧) واعمال مار افرام بستة مجلدات (١٧٢٧) نشرها الاب بطرس مبارك اليسوعي الماروني وأتمها السماي. وكتاب الكمال المسيحي لرودريكوس (١٧٦٧) وقد سها عن ذكره مشهور ومن المطابع القديمة التي شاع اسمها في اوردية بكثرة مطبوعاتها الشرقية مطبعة ليدن من اعمال هولندا انشأها العلامة الشهير توما ارينبوس (Erpennius) سنة ١٥٩٥ وخدمت العلوم خدمة جليلة. ومن مطبوعاتها امثال لتان (١٦١٥) والمعهد الجديد عن نسخة ترتقي الى سنة ١٢٤٣ (١٦١٦) وقصة يوسف البار من القرآن وهو اول كتاب ضبط بالشكل الكامل والآبرومية (١٦١٧) وكتاب توراة موسى (١٦٢٢) وتاريخ بربس الكين المعروف بابن العميد (١٦٢٥) ومجموع امثال علي بن ابي طالب (١٦٢٩) وعبان المقدور في اخبار تيمور لابين عرب شاه (١٦٣٦) وسيرة السيد المسيح بالفارسية للاب ايرونيم كسافار يوس اليسوعي (١٦٣٩) ولغز قابس (١٦٤٠) وقاموس غوليوس (Golius) (١٦٥٣) وقسم من مقامات الحريري (١٧٤٠) ومعلقة طرفة (١٧٤٢) وديوان الامام علي (١٧٤٥) ولامية كعب بن زهير (١٧٤٨) وسيرة صلاح الدين الايوبي لابن شداد (١٧٥٥) رقصيدة البردة (١٧٦١) وكليلة ودمنة (١٧٨٥) وتاريخ الحبش للقرنيزي (١٧٩٠) ونجدة من امثال الميداني (١٧٩٥) وتأليف غير هذه لم يسعنا ذكرها. وقد نالت اليوم مطبعة ليدن المقام الاول بكثرة مطبوعاتها وفيها من العلماء المشرقين قوم مبرزون يتقدمهم العلامة دي كوي (de Goeje) الشهير الذي رأينا من انسه وفضله اكثر مما سمعنا

ومن المطابع الشهيرة في اوردية بطبع التأليف الشرقية مطبعة باريس الملكية وحروفها هي الحروف التي هم مجنوها ساقاري واسطغان پوليتوس السابق ذكرهما. واول كتاب طُبِع في عاصمة فرنسة كتاب « في صناعة النحر » للقس جيرائيل الصهيري والشاسس يوحنا الحصري سنة ١٦١٣ وكتاب الزبور بالسريانية واللاتينية (١٦٢٥) وقصيدة ابن العبري في الحكمة الالهية (١٦٢٨) ومجمع ارميني لاتيبي (١٦٣٣) وكتاب التعليم المسيحي للكردينال ده ريشيو (de Richelieu) عربية الاب ده برواز

(de Boise) رئيس الكبوشيين في بنداد (١٦١٠) ومناحد الحكم لفلاسفة العرب نشرها ابراهيم الخاقلافي (١٦١١). ولكن اسم هذه الطبعة طُبِعَ العمود لما نشر الحوري له جاي (Le Jay) عشرة مجلدات ضخمة الكتاب المقدس في اللغات العبرانية والسامرية والكلدانية والسريانية والعربية واليونانية واللاتينية (١٦٣٢-١٦٤٥) وهذا التأليف

احسن ما طُبِعَ في القرون الماضية من حيث نضارة الحروف وكمال الطبع ومن المطابع الشرقية في اوربة التي احزت لها ذكراً حسناً مطبعة لندرة ومطبعة ألكفرد. واهم منشورات الادلى تاريخ الدولة الخوارزمية لابي الفداء (١٦٥٠) والتوراة القدسة بتسع لغات نشرها قلتون بستة مجلدات ضخمة سنة ١٦٥٧ وزاد على طبعة باريس الترجمين الحبشية والفارسية وصدر طبعته بقدمة مفيدة جداً في الاسفار الالهية والعاديات العبرانية وقد اضاف العلامة كاستلي (Castelli) عليها تسعين كبيرين كمجهر للكتاب المقدس. غير ان هذه الطبعة مع فوائدها دون الطبعة الباريية من حيث جمال حروفها وحسن طبعتها. ومن مطبوعات لندرة ايضاً رسائل طبة للرازي (١٧٦٦) وكتاب الجراحة لابي القاسم (١٧٧٨) والمعلقات (١٧٨٣)

اماً مطبعة او كفرد فانشرت في اواسط القرن السابع عشر اهمت بانثائها العلامة بركوك (E. Pocock) ومن مطبوعاتها نبذة في تاريخ العرب (١٦٥١) ومقالات لموسى بن ميون (١٦٥٥) وتاريخ سعيد بن بطريق (١٦٥٨) وحقبة الديانة المسيحية لثروتوس (١٦٦٠) ولامية الطغراني (١٦٦١) وتاريخ ابي الفرج المعروف بابن العربي (١٦٦٣) ورسالة حجي بن يقظان (١٦٧١) والسيرة النبوية من تاريخ ابي الفداء (١٧١٣)

هذا وكان بؤداً قبل ان يباشر بتاريخ فن الطباعة بالشرق ان نتبع كل المطابع الاربية التي جدت مدة الثلاثة القرون الماضية في نشر الكتب الشرقية لولا ان ذلك يوزي بنا الى الاسهاب الملّ لكننا نرد هنا اجمالاً بعض الكتب النفيسة التي طُبِعَت في ذلك العهد وفي معرفة الامر افادة لا تُتكر. فمن ذلك القرآن طبع في البندقية (١٥٣٠) ومجمع جيجيرس (Giggeius) باربع لغات طبع في ميلانو (١٦٣٢) وتفسير القرآن للبيضوي والزخشري والسيرطي مع مقدمة نشرها لويس ماراجي (Maracci) في بادوا (١٦٩٨) وتعليم المتعلم للزرنوجي في ماستريخ (١٧٠٩) وخريدة

المجانب لابن الوردي في أبالا (١٧٥٧) ورسالة ابن زيدون في ليبك (١٧٥٥) ومتنجات من شعر المتنبي فيها (١٧٦٥) ووصف الشام لابي الفداء فيها (١٧٦٦) ومقصودة ابن دريد في هردثيغ (١٧٦٨ و ١٧٨٦) ولامية الطفراني في فرنكفورت (١٧٦٩) ووصف مصر لابي الفداء في غوتا (١٧٢٦) وتاريخ ابي الفداء في كورنباغ (١٧٨٩) وكتاب عبد اللطيف في الامور المشاهدة بمصر في توبنغ (١٧٨٩) واكسفر (١٨٠٠) وآثار العرب في صقلية لثريودوروس روزاري في بالمة (١٧٩٠) ومنتجات من تقويم البلدان لابي الفداء في ليبك (١٧٩١) ومعلقة زهير فيها (١٧٩٢) والتعود الاسلامية للمقرزي في رستك (١٧٩٢) وفي سنة ١٨٠٥ طبع العلامة دي ساسي في باريس منتجاته النفيسة التي دعاها «الدليل النيد لاطالب المستفيد» في ثلاثة اجزاء ضخمة. ومذ ذاك الحين دخلت المطبوعات الشرقية لاسيا العربية في طور جديد بحيث صار عددها يربو في اوردبة على المئات ونحن نقف عند هذا الحد لتعصر النظر على المطابع الشرقية في بلاد الشرق ونرجي تامة مقالنا الى الاعداد الآتية (ستأتي البقية)

السفر العجيب الى بلاد الذهب

للاب ايل رينو السوي (تابع لاسبق)

الفصل الثاني

السفر على سفينة كلثند

- متى يقلع المركب كلثند من سان ميشل ؟

- بعد ثمانية ايام

- ثمانية ايام... يا فقه! او ليس سفينة اخرى تسافر قبله ؟

- كلاً يا سيدي

فما سمع فاضل (وما كان السائل غيره) حتى ضرب الارض برجله وصار يمشي

ذهاباً واياباً على ضفة النهر كرجل ضرب في ساعده وثاله بلاه عظيم

وكيف لا يضطرب... فان الساعات للناخف المذنب تمد اطول من الاجيال...